لا مكان يمكن تسميته منزلا:

الحياة تحت الاحتلال



عفاف أبو ظاهر في خيمتها ببلدة القرارة

في وقت ما خلال الفترة من 8-10 يناير 2009، وخلال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة أو ما يعرف باسم "عملية الرصاص المصبوب،" هدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي منزل عائلة أبة ظاهر ودمرت مزرعة تعود للعائلة في بلدة القرارة في جنوب قطاع غزة. وبعد مرور 4 سنوات، لا تزال هذه العائلة مشردة وتعيش في خيمة مصنوعة من الصفيح والنايلون، حيث لا يستطيع أفرادها البدء بأية مشاريع يمكن أن تدرّ دخلاً لهم لتوفير احتياجاتهم.

بالنسبة لعفاف أبو ظاهر، 37 عاماً، من الصعب تذكر الأحداث المحيطة بعملية تشريد العائلة. "كان منزلنا على بعد نحو 300 متر من السياج الحدودي، وكانت هنالك حوادث متكررة لإطلاق النار والقصف وإطلاق الصورايخ،" تقول عفاف. "ولم يتمكن الأطفال في بعض الأحيان من التوجه إلى مدارسهم. وكانت قوات الاحتلال الإسرائيلي تقوم بتوغلات في المنطقة واعتقال أشخاص منها. ثم، في أحد الأيام، سمعنا مطالبة لنا عبر مكبرات الصوت بضرورة مغادرة منازلنا لأنها ستتعرض للاستهداف. لم يكن لنا أي مكان لنتوجه إليه، ولكننا غادرنا المنطقة وتوجهنا مع عائلات أخرى إلى المدرسة التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين في القرارة. وبعد يومين من مطالبتنا بمغادرة المنزل، تم هدمه وتدميره بشكل كامل. غادر معظم الناس المنطقة ولكن البعض بقي فيها. أتذكر بأن ابن عم زوجي بقي في المنطقة وقد قتل في داخل منزله. دمرت قوات الاحتلال 120 منزلاً في المنطقة خلال العدوان،" تضيف عفاف.

بقيت العائلة في مدرسة الوكالة لنحو شهر قبل أن تستأجر منزلاً متواضعاً في بلدة القرارة، حيث سكنت فيه العائلة لمدة شهر آخر. بعد ذلك، نصب أفراد العائلة خيمة على أرضهم. "في البداية، اعتقدنا بأننا سنعود إلى أرضنا وبأن أحداً ما سيساعدنا في إعادة بناء منزلنا، ولكن ذلك لم يحدث. ولم يكن بمقدورنا الاستمرار في استئجار منزل لأن مبلغ الإيجار كان مرتفعاً، لذا أتينا إلى هنا،" تقول عفاف.



خيمة عائلة أبو ظاهر موصولة بحظيرة أغنام مجاورة

أصبحت الحياة بالنسبة لعائلة أبو ظاهر مع مرور السنوات أكثر صعوبة، خاصة مع عدم وجود سقف ملائم فوق رؤوسهم. "الوضع صعب جداً بالنسبة لنا جميعاً، حيث أنام مع أطفالي في غرفة واحدة على مراتب على الأرض،" تقول عفاف. "لا يوجد جدار في أحد الجوانب لذا فإننا ننام بجوار خراف جارنا. هنا أطبخ وهنا ننام. في آخر مرة سقط فيها المطر، غطى الماء الأرضية ولم نتمكن من النوم. وقد حاولنا أن نغير النايلون الموجود فوق السقف، ولكن ذلك لم يكن مجدياً. لا يحضر أطفالي أصدقاءهم إلى المنزل لأنهم خجلون منه، لذا فإنهم يلتقون بأصدقائهم في الشارع."

تفكر عفاف في المشاريع التي كانت لديها قبل تدمير المنزل، والظروف التي تواجهها هي وعائلتها حالياً فتقول: "كانت مساحة أرضنا 7 دونمات، وكنا نمتلك منزلاً ومزرعة هناك. وكانت لدينا نحو 700 شجرة زيتون، وكنا نربي الخراف والدجاج والأبقار، حيث كنا نبيع الحليب والجبنة التي نصنعها في السوق، وكان لدينا دخل ثابت يغطي احتياجاتنا. أما الآن، ليس لأحد منا وظيفة، وبالكاد نحيا. الأرض صغيرة جداً ولا تكفي لإنشاء أي مشروع. ويذهب اثنان من أطفالنا فقط إلى المدرسة، فيما يبقى الآخرون في المنزل لمساعدة والدهم في أعمال غير دائمة وفي جمع البقايا من المباني. إننا نعتمد على المساعدات المقدمة من الأمم المتحدة، وعلى أي شيء لآخر يمكننا الحصول عليه. زوجي مريض وهو بالكاد يستطيع أن يعمل، حيث يحصل على راتب بقيمة 800 شيكل لقاء عمله في الحكومة لمدة شهر أو شهرين في العام. يحول المال فقط دون موتنا."

لقد أثر تدمير المنزل أيضاً على مشاعر أفراد العائلة. "يعاني أطفالي من الصدمة جراء الحرب، وأعاني أنا أيضاً من الكوابيس في منامي." تقول عفاف. "رأى أحد أبنائي ثلاثة مقتولين وطفلاً قطعت رأسه. وقد أصيب بالصدمة نتيجة لذلك، حيث يقوم من نومه وهو يصرخ أثناء الليل. وبدأ أيضاً يسير وهو نائم. لدي كوابيسي الخاصة بي، ولكنني أحاول تقديم النصح لأطفالي، وتوضيح ما حدث لهم. ويقوم موظفون من برنامج غزة للصحة النفسية بزيارتنا من وقت لآخر لتقديم الاستشارات لنا."

بالنسبة للمستقبل، تريد عفاف فقط الأفضل لأطفالها. "كنا نملك منزلاً وكانت الحياة تسير جيداً، ولكننا فقدنا كل شيء فجأة." تقول عفاف. "إنني أسعى لإعالة أطفالي، وأريدهم أن يعيشوا لا أن يصارعوا من أجل البقاء. أريد أن أعمل وأن أدخر وأن أعيش بسلام. لا أعلم ماذا يمكنني أن أتوقع في المستقبل. كل ما أعرفه الآن أن كل شيء سيء. إننا لاجئون قدمنا من بئر السبع، لذا يفترض أن تقوم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين بتوفير وحدة سكنية لنا،

ولكننا لا نزال ننتظر الحصول على منزل منذ سنوات، ولا نعلم متى سنحصل عليه، ولكننا فقط سننتظر، كالعادة."

يشكل الاستهداف المباشر للأعيان المدنية جريمة حرب وفقاً للمادة 8(2)(ب)(2) من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. كما تحظر المادة 53 من اتفاقية جنيف الرابعة تدمير الممتلكات الخاصة إلا إذا كانت العمليات الحربية تقتضي حتماً هذا التدمير. إن الاستمرار في فرض "منطقة عازلة" على طول حدود قطاع غزة يشكل انتهاكاً للعديد من مبادئ حقوق الإنسان، بما فيها الحق في الحصول على مستوى معيشي لائق، وفقاً المادة 11(1) من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.